المحتسب ودوره في الرقابة علي الأسواق

إعداد

أ. عبد الفتاح سعد محمود منصور

باحث ماجستير

أ.د. أحمد محمد إسماعيل الجمال د. شيماء عبد الحميد البنا

استاذ التاريخ والحضارة الإسلامية **مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية**

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور

العدد الستون - الجزء الثانى - يناير - لسنة 2023

المحتسب ودوره في الرقابة علي الأسواق

أ. عبد الفتاح سعد محمود منصور
أ.د. أحمد محمد إسماعيل الجمال
د. شيماء عبد الحميد البنا

ملخص البحث

الحسبة في اللغة : من الاحتساب ، وهو طلب الأجر والثواب من الله

وعرفها جمهور الفقهاء : بأنها ولاية دينية يقوم بها الحاكم أو ولي الأمر بأنة يعين من يتولي مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي مشروعة بالكتاب والسنة ، وأجمعت الأمة علي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علي كل مسلم قادر ، والشريعة الإسلامية جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها ، وأول من مارس الحسبة هو النبي صلي الله علية وسلم فكان يمشي في السوق وينهي عن الغش والتطفيف في الكيل والميزان ، فمر علي رجل معه صبره من طعام فوجد فيها بللاً فقال : للرجل هلا أظهرته للناس (من غشنا فليس منا)، وسار علي دربه الصحابة وعلي رأسهم الخلفاء الراشدين ، فسيدنا عمر رأي رجلاً حمل جملة حملاً ثقيلاً فضربة وقال له : حملت جملك ما لايطيق ، ولما توسعت رقعت الدولة الإسلامية أصبح واجب علي ولاة أمر المسلمين تعيين من يروه أهلاً للقيام بالحسبة ويمدونه بما يحتاج إليه من الأعوان والوسائل اللازمة لذلك ، فالمحتسب له دور كبير في مراقبة الأسواق ، ومراقبة المهن والصناعات وهذا المحتسب له شروط وآداب ، وهو أن يكون : رجلاً مسلماً، بالغاً ، قادراً، حراً ، عدلاً ، ذا رأي وصرامة ، وعلم بالمنكرات الظاهرة ، عفيفاً ، ورعاً نبيلاً، عالماً بالمكاييل والموازيين ، ومن آداب المحتسب الرفق في الاحتساب ، والبدء بالنفس ،والبدء بالأهم ، ومراعاة سنة التدرج ،والموازنة بين المصالح والمفاسد ، والصبر ، واحتمال الأذى ،والبحث عن بديل للمنكر الذي يريد أن يزيله

Hisbah in God is from the reckoning, which is the request for reward and reward from God, and the majority of jurists defined it as a worldly guardianship that the ruler or the guardian performs by appointing someone to undertake the task of enjoining good and forbidding evil, and it is legislated by the Book and And the Sunnah and the nation unanimously agreed on the obligation of enjoining good and forbidding evil on every capable Muslim, and the Islamic law came to achieve interests and complete them and to disrupt and reduce corruption, and the first to practice Hisbah is the Prophet, may God bless him and grant him peace He used to walk in the market and forbid cheating And about the slightness in measure and weight, and a man passed by with his patience of food, and he found wetness in it, and he said to the man, “Hello.” I showed it to people who deceived us, he is not from us, and the Companions followed his path, and at their head the Rightly Guided Caliphs, so our master Umar saw a man carrying a heavy load, so he beat him And he said to him, "Your camel carried what it could not bear, and when the territory of the Islamic State expanded, it became the duty of the rulers of the affairs of the Muslims to appoint whomever they deem worthy to carry out the caliphate and provide them with what they need."He needs the necessary aids and means for that, so the muhtasib has a great role in monitoring the markets and supervising professions and industries. And this muhtaseb has conditions and etiquette, which is that he be a Muslim man, capable, free, just, dressed in opinion, rigor, and knowledge of outward evils, chaste, pious, knowledgeable, knowledgeable of measures and scales. Among the etiquette of the muhtasib is gentleness in reckoning, starting with oneself, starting with the most important, following the rules of gradualism, balancing between benefits and disadvantages, patience, putting up with fashion, and looking for an alternative to the evil he wants to remove.

المحتسب ودورة فيالرقابة على الأسواق وتنظيم المعاملات

الحسبة : بالكسر هو الأجر ، والاحتساب : طلب الأجر ،والحسبة من الإحتساب كالعدة من الإعتداد ، والاحتساب في الأعمال الصالحات وعند المكروهات :هو البدار إلي طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر ، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها علي الوجه المرسوم فيها ، طلب للثواب المرجو منها ،ورقابة الدولة على أسواق بغداد تأتى أهميتها من عدة جوانب ، فهي تعكس جمله قضايا دينيه، واقتصادية ،ومالية ، ذات صلة بحياة المجتمع في عاصمة الخلافة العباسية ، القرآن أكد على ضرورة ضبط الموازين والمكاييل ، وعلى الأمانة في الكيل والوزن ، حفظاً لمصالح المشترين من عامة الناس فقد أكدت آيات القرآن على ذلك ، وقد وضع العلماء والفقهاء الشروط التي تفي بتلك المتطلبات،فالحسبة من معالم الحضارة الإسلامية التي امتازت بروح الإنسانية والشعور بالمسؤولية الحكومية التي تهدف إلي تحقيق الطمأنينة في التعايش وتبادل المنافع المشتركة بين طبقات المجتمع الواحد وإحساسهم بالعدل وطيب النفس ، وكان أئمة الصدر الأول يباشرون بأنفسهم مراقبة الأسواق لعموم صلاحها وجزيل ثوابها ، فقد روى أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنة مارس بنفسه الرقابة على الأسواق وشوهد وهو يضرب جمالاً ويقول له : حملت جملك مالا يطيق ، وبعملة هذا قد وضع القواعد الأساسية لما ينبغي أن تكون علية رقابة الدولة على الأسواق ، كما أن على بن أبى طالب رضي الله عنه قد راقب الأسواق وحث التجار على ألا يظلموا الناس ، ووردت نصوص تشير إلى أن مهدى بن عبد الرحمن كان محتسباً في واسط ، وخلفه في هذه الوظيفة إياس بن معاوية ، ثم صار يتردد ذكر المحتسب كثيراً فيما بعد واكتسب أهمية كبيرة في العصر العباسي . وعلى الرغم من أن قواعد الشرع واضحة ومعروفة لدى غالبية أهل السوق ، لكن حب المال ونشاط الحركة التجارية بأسواق بغداد ، لعبا دوراً رئيسياً في سلوك أهل السوق ، فكان لزاماً أن تنظم تلك الأسواق بأنظمة وقوانين ضابطة ، ولم يترك التعامل بها وفق هوى النفس ومصالح التجار وأهل السوق ،بل كانت تنظم تحت رقابة الدولة ويشرف عليها موظف مختص هو المحتسب يختار وفق مواصفات معينه والظاهر أن الدولة العباسية كانت تشدد على أسواق بغداد منذ البداية وتتابع سير التعامل التجاري فيها ، فقد كان للخليفة المنصور موظفون يزودونه بكل ما يجرى في أسواق العاصمة ، ولم يقتصر اعتماد الخلفاء في هذا العصر على المحتسب فقط بل كان الخلفاء يشرفون بأنفسهم على أسواق بغداد ، فتابع

الخليفة المنصور شخصياً الأخبار الواردة على الأسواق والأسعار في كل يوم ،وكان الخليفة يختار لهذه المهمة من اتصف بالورع والتقوى والعلم والمعرفة ، وعلى أن يكون رجلاً، مسلماً، بالغاً، قادراً ، حراً، عدلاً، ذا رأى وصرامة ، وعلم بالمنكرات الظاهرة ، عفيفاً، ورعاً ، عالماً ، نبيلاً، عارفاً بالأمور ، محنكاً، فطناً ، لا يميل ولا يرتشى ، وأن لا يكون قولة مخالفاً لفعلة ، ومواظباً على سنة رسول الله من قص الشارب ، ونتف الإبط ،وتقليم الأظافر ، ومن شيمته الرفق ، ولين القول وطلاقة الوجه وسهولة الأخلاق عند أمرة للناس ونهيه فإن ذلك أبلغ في استمالة القلوب وحصول المقصود

كما يجب على المحتسب معرفة وحدات الوزن والكيل ، والأذرع المستعملة في الأسواق ، ويتحقق من صحتها،وأصح الموازين ما استوي جانباه واعتدلت كفتاه، وإذا استراب بموازين السوقة ومكاييلهم ، ويجوز له أن يختبرها ويعايرها ، وله أن يأمر أصحاب الموازين بمسحها وتنظيفها من الأدهان والأوساخ في كل ساعة ،وهنا نجد أن الأهمية القصوى للأوزان والمكاييل والأذرع جعلت الدولة تدع أمرها إلى مسئول ذي تقوى ، وورع ، ومعرفة بأحوال السوق والبيع والشراء فضلاً عن تضلعه في الأحكام الشرعية وهو المحتسب

وكانت وظيفة المحتسب قد تبلورت بشكل واضح منذ زمن الخليفة المهدي حينما انتظمت أحوال المدن الإسلامية وما ترتب على ذلك من توسع الأسواق وتخصصها وازدهار التجارة ، وظهور النقود الزائفة . عندئذ برز صاحب الحسبة وصار يتقاضى راتباً معيناً من بيت المال ، ولم يكن يعمل متطوعاً ولم يقتصر اعتماد المهدي على المحتسب فقط ، بل كان يطوق الأسواق بنفسه مع المسيب بن زهير وهو متنكر ،وكانت رقابة الدولة على الأسواق تأخذ أشكالاً متعددة،

فكان الخليفة هارون الرشيد لا يكتفي بما عهد به إلى المحتسب والموظفين التابعين له بل يراقب أسواق بغداد بنفسه ليطمئن على أن الأمور تسير وفق المصلحة العامة وفى مثل تلك الحالات كان الخليفة الرشيد يتزايا بزى التجار ليتفقد أحوال أسواق العاصمة ، كما أكد على محتسب بغداد بضرورة مراقبة الأسواق والإشراف على الموازين والمكاييل ، ومراعاة أثمان الحاجيات ، منعاً للغش ، أو ابتزاز أموال الناس ، وكانت الحكومة تضع على الأسواق حرساً في الليل منعاً للسرقات ، والخليفة الرشيد من شدة اهتمامه بالأسواق والتجارة أمر بامتحان الشيوخ كشيخ البزازين، وشيخ العطارين، وشيخ النحاسين ، وغيرهم لمعرفة مدى أهليتهم للحرفة التي سيترأسونها، ومن لم تثبت جدارته يعزل ويولى غيره ، وكان يشترط فيمن يتولى امتحان هؤلاء الصناع أن يكون خبيراً بالصناعة مشهوراً بها.

أما الخليفة المأمون كان متشدداً في أمر الأسواق

فعندما علم أن هناك بعضاً من التجار يغشون في الكيل ويأخذون أموال الضعفاء أمر بقفيز ، يسع ثمانية مكاكيك ، وأجبر التجار على استعماله دون غيره ،ومما يؤخذ ولاة الحسبة بمراعاته من أهل الصنائع في الأسواق ثلاثة أصناف : منهم من يراعي عملة في الوفور والتقصير(كالطب والتعليم) ومنهم من يراعي حالة في الأمانة والخيانة (كا لصاغه ، والحاكة ،والقصارين ، والصباغين) ومنهم من يراعي حالة في الجودة والرداءة

وكانت الدولة تهتم اهتماما كبيراً بمؤسسة الحسبة ، باعتبارها تمثل واجهة من وجهات الحكومة التي هي على اتصال بالناس ، وموظفوها مسؤولون عن إقرار الحق ومكافحة الجشع والتطفيف والتدليس، لذا أعدت الحكومة لهذه المؤسسة جهازاً ضخماً نفقاته أربعمائة وثلاثين ألفاً وأربعمائة وتسعة ثلاثين ديناراً ، وأن متولي الحسبة صار يتقاضى مائتي ديناراً شهرياً.

ومن واجبات المحتسب الإشراف على أصحاب المهن كافة ومراقبتهم ومنعهم من الغش، حيث وضع رجال الحسبة تعليماتهم وتوجيهاتهم إلى أصحاب المهن المختلفة ، وهذه التوجيهات تشير إلى بعض تعاليم الدين الإسلامي الحنيف التي تحث على النظافة في كل شيء ، ومن أصحاب المهن الذين يشرف المحتسب عليهم وعلى عملهم " الخبازون " حيث يأمرهم برفع سقوف أفرانهم ، ويجعل لها فتحات ومداخن واسعة ليسهل خروج الدخان حتى لا يتضرر منة الناس، كما يلزم الخبازين بأن يمسح الفرن من الداخل ، وأن تكون الأوعية التي يستعملها في العجين نظيفة ومغطاة ، ولا يعجن الخباز بقدميه، كما يقوم المحتسب بتدوين أسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم ، فان الحاجة تدعوا إلى معرفتهم وعليه أن يأمرهم بنظافة أوعيه الماء والمعاجن، ويشرف أيضاً على الجزارين والقصابين فيمنعهم من إخراج الذبائح عن أماكن حوانيتهم ، حتى لا يتضرر بها المارة ، كما يأمرهم بعزل لحم الضأن عن لحم الماعز وعدم غش اللحوم بأي شكل كان.

ويأمر الشوائين وقلائي السمك بالنظافة ، والطباخين بتغطية أوانيهم وحفظها من الذباب بعد غسلها بالماء والأشنان، ويمنعهم من طبخ أنواع مختلفة من اللحم مع بعضها بعضاً ، ويلزم بائعي الحلوى أن تكون مقاديرهم متساوية ، وأن تكون الحلوى ناضجة جيداً،كما يمنع غش الحلوى بخلط أنواع متعددة مع بعضها بعضاً، مما يؤدى إلى وقوع الأضرار ، ومن أعمال المحتسب أيضاً ، منع أحمال الحطب وأعدال التبن ، وروايا الماء ، وشرائح

السراجين وأشباه ذلك من الدخول في السوق لما في ذلك من الضرر بلباس المارين، والمحتسب مسؤول عن تنظيم جلوس الباعة في أسواقهم ودكاكينهم بحيث جعل لأهل كل صنعة منهم سوقاً يختص بهم، إبعاد أصحاب الحرف التي تتطلب صناعتهم الوقود والنار ،والخبازين ، والحدادين والطباخين وما شاكلهم ، وأصبح من حقه أن يرى في العرف الجاري بين أهل السوق أساساً يستطيع الرجوع إليه ، كما يشرف على أصحاب الحبوب والدقاقين حيث يمنعهم من احتكار الغلةوخلط جيدها برديئها ، كما يشترط عليهم تجفيف الغلة قبل بيعها ، لكي لا يثقل وزنها ، وأكدت رقابة الدولة على أن تكون الأسواق في الارتفاع والاتساع بشكل مناسب وأن يكون على جانبي السوق ممرات يمشى عليها الناس ، ولا يجوز لأحد من أهل السوق إخراج مصطبة دكانه عن سمت أركان السقائف على الممر لأنه فيه عدواناً وتضييقاً على المارة ، ويجب على المحتسب إزالته والمنع من فعله ، لما في ذلك من الضرر بالناس ، وبلغ من دقة القوانين التي سار عليها المحتسب أنه كان يعمل على أن تكون الموازين على أصح أوضاعها مستوية الجوانب معتدلة الكفوف.وللمحتسب أن يمنع أرباب السفن من حمل ما لاتسعه ويخاف منة غرقها،وكذلك يمنعهم من المسير عند اشتداد الريح ، وإذا حمل فيها الرجال والمساء حجز بينهم بحائل

والمحتسب يشرف على أرباب البضائع كافة كالعطارين يمنعهم من غش العطر وخاصة أن أنواعه كثيرة ومتعددة ، ويجوز للمحتسب أن يفحص نوع العطر ، وذلك بطرق كثيرة ومتعددة ، كما يمنع بائعي التمر من الغش في الوزن والكيل وخلط البضاعة الجيدة بالرديئة وألا يرشوا الماء على التمر لترطيبه وزيادة وزنة ، ويلزمهم بحفظ البضائع في أوعية مغطاة ، واستعمال المذبة باستمرار لطرد الذباب ،كما يتفقد موازينهم ومكاييلهم وحوانيتهم ، ومن الأمور التي يجب على المحتسب النظر فيها والإشراف عليها في الأسواق أنه أصبح من حقه أن يمتحن الطبيب البيطري ليجيزه لممارسة مهنته، وعليه أن يأخذ على الأطباء عهداً ألا يعطوا أحداً دواء مضراً ، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة ، ولا للرجال الذي يقطع النسل، وله أن يمتحنهم،ويمنع المحتسب من خصاء الآدميين ويؤدب علية ، وإن استحق فيه قوداً أو دية استوفاه لمستحقيه ما لم يكن فيه تنازع و تناكر ،ويمنع من التكسب بالكهانة واللهو ويؤدب علية الآخذ والمعطي

الدولة ركزت على ضرورة توفر الأمانة في الصاغة،والصباغين،والحاكه والخياطين لاحتكاك الجمهور المباشر بهم . فللمحتسب أن يأمر الحاكة بجودة عملهم ، ويلزم الخياطين بجودة التفصيل ، وحسن فتح الجيب ، واعتدال الكمين والأطراف ، واستواء

الذيل، ولا يمكن خياط في دكان إلا بعد أن يقيم له ضامناً لئلا يأخذ ثياب الناس ويترك المكان ، وللمحتسب مراقبة الدلالين في الأسواق ، وله أن يقر منهم الأمناء ويمنع الخونة, أعوان المحتسب **(العريف)** لما توسعت بغداد، وتعددت أسوقها ونشطت التجارة فيها أصبح من الصعوبة أن تدخل الإحاطة بأفعال وأعمال أهل الأسواق تحت وسع المحتسب . وعندئذ جاز له أن يستعين بأناس يساعدونه في أداء مهمته، فجعل على كل صنعة عريفاً من صالح أهلها خبيراً بصناعتهم ، بصيراً لغشهم وتدليسهم ، مشهوراً بالثقة والأمانة يكون مشرفاً على أحوالهم وتعاملهم مع زبائنهم ، ويطلع المحتسب بأخبارهم وما جلب إلى سوقهم من المتاجر والبضائع ، وما تستقر علية الأسعار ، لقوله ': "استعينوا على كل صنعة بصالح من أهلها" ، وتأتى أهميه الاستعانة بالعرفاء من أن الماوردي، يرى أن العرف الجاري بين أهل السوق يجب أن يتخذ أساساً يرجع إليه المحتسب عند النظر في المشاكل التي تعترض عملة في الأسواق ، ومن هنا افترض (ابن الإخوة)، أن يكون المحتسب من أهل الاجتهاد العرفي دون الشرعي ، وبين الشيرازي، أهمية العرف لمساعدة المحتسب في كشف الغش والتدليس لدى أهل السوق .

يشير الصابئ ، إلى وجود عامل على سوق الغنم ، وعامل على سوق دار البطيخ ، وآخر على القطن، ورابع على سوق الرقيق وغيرها ، ومن ذلك نستدل أن لكل سوق من أسواق العاصمة عاملاً معيناً يؤازره عدد من الأعوان ،وهؤلاء كلهم يتبعون بدورهم إلى المحتسب بغداد ،وكان من حق عامل السوق أن عرف ثمن ما يرد من سلع إلى السوق المكلف بالإشراف علية، ولاشك أن الصلاحيات التي أعطيت للمحتسب وأعوانه قد تفتح الباب أمامهم لسوء الاستغلال ، مما يدفع أهل السوق لتقديم الرشوة ، أو لجوئهم إلى الوساطات والشفاعات،وبذلك وجب على الحاكم أن يحسن اختيار المحتسب وعرفاء الأسواق ، وأمناء الصناعات ، وشيوخ الدروب ، وأصحاب الأرباع ، ومهما يكن من أمر فإن واجبات المحتسب كانت تستهدف خدمة مصلحة الجمهور، ولم يفرض على الصناع أو التجار أو الباعة قيوداً ثقيلة ، ولم يتح للمحتسب مجال التدخل الكبير في شؤون أهل السوق ، ولم تقتصر مراقبه الأسواق على الدولة فحسب بل إن التجار كانوا قد أقاموا من قبلهم نقابة مسؤوله على مراقبة المعاملات التجارية ، ومنع الغش والتدليس ، وكان رئيسها ينتخب من بين الأعضاء المختارين ، ويسمى رئيس التجار ، كما كان يسمى أعضاء النقابة الامناء.